

بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية العراق

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF AL-QADISIYA
COLLEGE OF EDUCATION
AL-QADISIYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES



وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
مجلة القادسية في الآداب
والعلوم التربوية
التصنيف الدولي : ISSN 2518-9174 - PRINT ISSN 2519-6162 ONLINE

(سري)

العدد / ٦ ✓
التاريخ / ٢٠١٧ / ٤ / ٢٠

إلى / أ.م. علي كاظم علي المدني المحترم

نجاح جابر سلمان المحترم

م/قبول نشر

تحية طيبة ...

يسر هيئة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ (التقنيات البلاغية الحجاجية في شعر السيد الحميري (الاستفهام) في الاء القادمة .

مع التقدير ...

أ.د. سرحان جفات سلم

رئيس التحرير

٢٠١٧ / ٤ / ٢٠



سنة منه إلى:

أمانة التحرير.

الصادرة .

وحدة الرقابة.

البريد الالكتروني: alqadisia@yahoo.com

التقنيات البلاغية الحجاجية

في شعر السيد الحميري

(الاستفهام)

اعداد الطالب

نجاح جابر سلمان

ماجستير اللغة العربية / أدب

بإشراف الأستاذ المساعد

الدكتور علي كاظم علي المدني

Nnajah 42@ yahoo.com

التقنيات البلاغية الحجاجية

في شعر السيد الحميري

((الاستفهام))

المقدمة :

يدخل الاستفهام في إطار العملية الحجاجية للتأثير في موقف الخصم وإضعاف حجته أو توجيهه بواسطة مقصديّات وأغراض يتبناها ويوظفها المنشئ اعتماداً على سياقات المستقبل فإن ((الكل من المتحاورين بناءً فكرياً يدافع عنه بكل ما أوتي من حجج وحيل وطاقات بلاغية تستغل فيها أطروحات الخصم وأسئلته في الأبنية الحجاجية المضادة، وذلك عبر حركة استرجاعية يشترط فيها الحذق وسرعة البديهة والخبرة))^(١)

وعليه كان الاستفهام من أهم الآليات الحجاجية في فلسفة الإقناع، فاضطلع بوظائف تداولية تأثيرية فضلاً عن وظيفته النحوية الشكلية، فكثيراً ما يدور استعمال السؤال في المفاوضات والمناظرات، ونعلم أن الهدف الكلي للمرسل من خطابه في كل هذه الأصناف الحوارية هو إقناع المرسل إليه^(٢)

ويمكن القول إن البلاغة العربية قد لمحت الدور الاستفهامي في التأثير والتواصل للخروج بالمنجز الإقناعي فكانت المسارات الحجاجية للاستفهام ((جذب الانتباه، والحصول على المعلومات، وإعطاء معلومات، واختيار صحة المعلومات، أو إثارة التفكير وتنشيط المناقشة، والوصول إلى نتيجة، وتغيير مجرى الحديث، وكسب الوقت، وإضاعة الوقت، وإرباك المفاوض، وحصر الخصم واستفزازه))^(٣).

ومن أهم التقنيات الاستفهامية الإقناعية:

١ / الاستفهام التقريري:

وكما نعلم إن الكلام نوعان أساسيان: الخبر والإنشاء، ومن فروع الإنشاء الاستفهام، وقد يكون هذا القسم من الاستفهام إنشاء من حيث اللفظ ولكنه خبر من حيث المعنى^(٤)، إلا أن ما يهمنا هو ((في التقرير إقرار للحجة وتقرير لها))^(٥)، فالتقرير هو أن تحمل المتلقي - المخاطب - على الاعتراف بشيء ثبت عنده،

(١) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٥٥ .

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ١٧٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧٢ .

(٤) ينظر: البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر: ٨٣ ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

(٥) نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون : ١٠٩ .

فهو أسلوب مستعمل في الإقناع ويلزم المخاطبين بالحجة^(١)؛ لأن الإنسان منذ الوجود وبحكم الغريزة مدفوع إلى الاستطلاع والبحث فيما يحيط به من الكائنات، تأملاً وتفكيراً واستفهاماً بالتساؤل، فإن العدول عن الإخبار إلى الاستفهام يحمل المخاطب على الاعتراف بعد التدبر والأناة، فهو سؤال عن معلوم ثابت بغرض إقراره والاعتراف به^(٢) .

وقد استخدم الحميري هذا الأسلوب بكثرة في ديوانه ومنها قوله: [من الكامل]^(٣)
أسواهم أبغي لنفسي قدوة ؟ لا والذي فطر السماء سماء

...

من ذا تشاغل بالنبي وغُسله ورأى عن الدنيا بذاك عزاء ؟

...

من كان أرسله النبي بسورة في الحج كانت فيصلاً وقضاء؟
من ذا الذي أوصى إليه محمد يقضي العداة فأنفذ الإيصاء؟
من ذا الذي حمل النبي برأفة ابنه حتى جاوز الغمصاء ؟
من قال نعم الراكبان هما ولم يكن الذي قد كان منه خفاء ؟

فقد طلّ الاستفهام في مجموع هذه الأبيات متلبساً بالوجع المصاحب للذات، فخطاب الحميري لمن غفل عن حقيقة ما أراده، غايته الإيقاظ والعودة للرشد بعد الغي، فأضمرت استفهاماته جواباً بإيجاب الاعتراف إقناعاً بمن مدح، ألا وهو شخص الإمام علي عليه السلام إذ أنه وكما أسلفنا قد يكون إنشاء من حيث اللفظ، إلا أنه إخبار من حيث المعنى، فما استقرّ في ذهن المتلقي بعد كل هذه الأطروحات، جعل مبدأ التسليم والقبول بالنتيجة التي سعى إليها مستثمراً بذلك آلية التساؤل للتفكير والنظر، فانقل من تصوراتها إلى ما هو تصديق عند المتلقي وبشكل إلزامي .

ومنها أيضاً قوله: [من الطويل]^(٤)

أليس عليّ كان أول مؤمن وأول من صلى غلاماً ووحدًا ؟
فما زال في سرّ يروح ويغتدي فيرقى بثورٍ أو حراء مُصعدًا

(١) ينظر: البلاغة العربية: ٨٢ .

(٢) ينظر: نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون: ١٠٩ .

(٣) ديوان السيد الحميري: ٥٤-٦٠ . غمص فلان الناس وغمطهم وهو الاحتقار لهم والازدراء بهم ومنه غمص النعمة .

(٤) المصدر نفسه : ١٦٦-١٦٧ .

...

ومن ذا الذي قد بات فوق فراشه وأدنى وساد المصطفى فتوسدا؟
وخمر منه وجهه بلحافه ليدفع عنه كيد من كان أكيدا؟

فهو في طرحه لهذين السؤالين لم يرد الاستفهام عما هو غامض لدى المستمع، بل إنه قد مارس دور الاستجواب والتذكير بمعطيات حقيقية يقرونها، كونه أول مؤمن وأول من صلي وهو من بات على فراش الرسول (صلى الله عليه وآله) ونزل النص الإلهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ...﴾^(١)، فهو في طرحه لتلك الحقائق فتت منهج التفكير والدفاع عند الخصم فأقروا ما كانوا عنه غافلين . وكذلك قوله: [من الكامل]^(٢)

قل للذي عادى وصي محمد وأبان لي عن لفظه إنكارا :
من عنده علم الكتاب وحكمه من شاهد يتلوه منه نذارا ؟

...

من خاصف نعل النبي محمد أرضى الإله بفعله الغفارا ؟

...

من كان ذا جار له في مسجد من نال منه قرابة وجوارا ؟
والله أدخله وأخرج قومه واختاره دون البرية جارا
من كان جبريل يقوم يمينه فيها وميكايل يقوم يسارا ؟
من كان ينصره ملائكة السما يأتونه مدداً له أنصارا ؟
من كان وحد قبل كل موحد يدعو الإله الواحد القهارا ؟
من كان صلي القبلتين وقومه مثل النواهي تحمل الأسفارا؟
من كان في القرآن سمي مؤمناً في عشر آيات جعلن خيارا؟

فإننا نجد طريقة التعاقب الاستفهامي في هذه الأبيات قد جعلت من الخصم في هذه الحالة، دون أن يريد، مشاركاً في بناء منهجه الاحتجاجي، ذلك عندما يجيب عن هذه الأسئلة^(٣)، فهو يسعى هنا إلى

(١) سورة البقرة: ٢٠٧ .

(٢) ديوان السيد الحميري: ٢١٤-٢١٨ .

(٣) ينظر: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق: ٢٥٥ ، ط ١ ، مط لونجمان ، القاهرة، ٢٠٠٠ .

الاستعلام عن حقيقة مسلمة في عقول مخاطبيه، فإن أقروا بها لزمهم بخلاف ما يدعون، وهذه هي غايته، فتذكيره بحقائق يقرونها وبهذه الكيفية من إدراج المعطيات وتتابعها، حصر خصمه بالإقرار والاعتراف بأنهم قد كانوا غافلين ليس إلا.

ومنها أيضاً قوله: [من الطويل]^(١)

إذا أنا لم أهو النبي وآله فمن غيرهم لي في القيامة يشفع؟
ومن يسقني رياً من الحوض شربةً هناك إلا أصلع الرأس أنزع؟
ومن قائل للنار إذ ما وردتها ذري ذا وجل الناس في النار وقع؟
ومن بلواء الحمد ثم يظلني سواه وشمس الحشر في الوجه تلذع؟
علي وصي المصطفى ووزيره وناصره والبيض بالبيض تفرع
وأكرم خلق الله صنو محمد ومن ليس عن فضل إذا غد يدفع
ومن معه صلى وصام لربه وللات قوم ساجدون وركع؟

استطاع الحميري بما يمتلكه من موهبة ودراية، أن يستوحي ما يجول في خلجات مستمعيه ف((المحاجج إذا أحس بأن مخاطبيه يسلمون سلفاً بفكرة أو بعنصر يدعم تحقق ما يرمي إليه، فإن عليه إبراز هذا العنصر وتدعيمه بكل ما يعضده، ويجعله حاضراً في المقدمة ويزيد من أهميته))^(٢)، إذ أن نجاح الحجاج مرتبط بالوعي المبكر لدى المحاجج بأفكار متلقيه، وهذا ما عمد إليه الحميري فقدّم الشرطية (إذا أنا لم أهو النبي وآله) مستتبعا بعدها أطاريحه التساؤلية التي يرمي بها الوصول إلى تقرير حقيقة ممدوحه الإمام علي (عليه السلام)، فبما أحس وبما طرح من مجمل التساؤلات التقريرية، حصل مراده، فهو ساقى الحوض وليس هناك أنزع بطين غيره، وهو الحامل للواء الحمد وليس هناك وصي للمصطفى ووزير غيره، وهو صنو الرسول (صلى الله عليه وآله) وأول من صلى وصام معه (صلى الله عليه وآله).

وكذلك قوله: [من الوافر]^(٣)

أليسوا في السماء هم نجوم وهم أعلام عز لا يرأ؟
فيامن قد تحير في ضلال أمير المؤمنين هو الإمام

(١) ديوان السيد الحميري: ٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١١٤ .

(٣) ديوان السيد الحميري: ٣٤١ .

فإنه قد جعل من السؤال طريقه لتقرير ما هم عنه متحIRON غافلون، غايته إيقاظ هذه الذات الغافلة المتحيرة، حاملاً إيّاها على الإقرار بأنّ (أمير المؤمنين هو الإمام) فأزاح الريبة والشك عن قلوبهم، ألزمهم الإذعان لحقيقة أمر أهل بيت العصمة (عليهم السلام) فهم كما قال (صلى الله عليه وآله): ((الأئمة من أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))^(١)، فلا غموض بعد ذلك الاستعلام عن ذرى هذه النجوم والأعلام .

ومنها أيضاً قوله: [من السريع]^(٢)

فقال بايعوا له وسلموا الأمر إليه واسلموا من الزلّ
ألست مولاكم فذا مولى لكم ؟ والله شاهدٌ بذا عزّ وجلّ
يا ربّ وال من يوالي حيدراً وعادٍ من عاداه واخذلّ من خذلّ

فقد سار الحميري في هذه الأبيات بما أطلق عليه المناطقة تسمية البرهان اللّمي، فالحاد الأوسط هنا واسطة في الإثبات والثبوت، إذ أنه جعل من السؤال المطروح (ألست مولاكم) وبالتعقيب والعطف (والله شاهد بذا عزّ وجلّ)، حداً ثابتاً وأصلاً للثبوتية التي يريد (اسلموا من الزلّ) وكذلك (يا ربّ وال من يوالي حيدراً) وبهذا قطع زمام المبادرة والاعتراض في دحض حجته بعد أن عرض علّة الثبوت للأكبر والأصغر معاً، فإذا أقرّ المخاطب بصحة (ألست مولاكم) أي كان الجواب بالإيجاب والقبول كونها أمراً من عند الله سبحانه وتعالى، فحصل اليقين له من أمر ما عرض الشاعر بالإقرار الثبوتي لما جاء بالنص (عاد من عاداه وأخذل من خذل).

وفي موضع آخر يقول الحميري: [من الوافر]^(٣)

وأهوج نال جهلاً من عليّ فقلت له رويدك للجواب
أليس بذى المكارم من قريش إذا غدوا وفي الحسب اللّباب؟
وفي الإسلام أولّ أوليه وفي الهيجاء مشهور الضراب؟

فإنه قد استخدم أسلوب التعاقب الاستفهامي في خطابه أعلاه لمن نال جهلاً من أمير المؤمنين عليه السلام، رام فيما طرح بعد أن علم حقيقة مخاطبه، أن يبين ما للجهل والغفلة من السيطرة على ذهنيته التي

(١) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ٨٦/١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.

(٢) ديوان السيد الحميري: ٣٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٣.

استثاها بما هو مكنون في إجاباته عن مجمل هذه التساؤلات، فسعى سعيه وصولاً للإقرار الذي أثبتته لممدوحه ومحبه علي عليه السلام .

وأخيراً يمكن القول إنّ الاستفهامات مصائد حجاجية، تجرف الخصم إلى سياق مناهض لما كان يعتقد، فقد يتحول هذا الخصم إلى محاجج ضدّ أفكاره دون أن يشعر.^(١) فالإقرار بما طرحه الشاعر ينقض ما كان يدعيه الخصم فيصبح بإقراره هذا مناقضاً لدعواه وهو المطلوب عند السائل ف((طبيعة السؤال قد تتضمن نوعاً من استدراج الخصم إلى جواب يوقع الخصم في التناقض والانتهاه إلى استنتاج يخالف ما يدافع عنه من أفكاره)).^(٢)

٢ / الاستفهام التشهيري: (التشهير بأخطاء الخصم)

وهي عملية يقوم بها المحاجج ضمن دائرة الاستفهام لإبراز نقاط الضعف في شخص الخصم أو في حجته ف((لا تقف الأبعاد الحجاجية لسؤال الاستنكار عند هذه الحدود، بل ترتبط كذلك بالتشهير بأخطاء الخصم أو النفخ فيها، حتى يتسرب الارتياح لصاحبها، وحتى يتسع حجم فداحتها أمام الحضور)).^(٣) فإن حصل ذلك ارتفع الموقف الحجاجي للشاعر أمام حجة خصمه الذي سقط في نظر المتلقين، وهنا يستغل الشاعر ضعف المقام الحاصل لخصمه الحجاجي فيكون الانتصار لأفكاره بالاستغلال المطروح في حالة التقابل بين الحجتين الموافقة والمعارضة، فإذا سقطت المعارضة ثبت نقيضها دون إنشاء استدلال جديد.^(٤)

ومن ذلك قول الحميري: [من البسيط]^(٥)

وقال ثم رسول الله يا أنس ماذا أصاب بك التخليط مكتسباً؟
ماذا دعاك إلى أن صار خالصتي وخير قومي لديك اليوم محتجبا؟

حديث الطائر المشوي من المتواترات المشهورات في كتب الحديث والتاريخ، صاغ السيد الحميري من قصته النص الذي ورد فيه هذان البيتان ، وكيف أن أنس بن مالك قد ردّ علياً (عليه السلام) مانعاً إيّاه من

(١) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة د.عبد اللطيف عادل: ٢١٩ ، ط ١ ، ضفاف ، بيروت ، ٢٠١٣ .

(٢) الحجاج في المناظرة، أحمد أتركزي: ٣٢٧، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج ٤، دار الروافد الثقافية ، بيروت ، ٢٠١٣ .

(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢١٦ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٦-٢١٧ .

(٥) ديوان السيد الحميري: ٧١ .

الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأسباب ذكرها في مظانها ^(١)، إلا أن ما يهمننا في معرض حديثنا هنا، كيف أن الشاعر قد عبّر بأسلوب الاستفهام عما دار في حينها، إذ أنه قد استخدم التشهير بأخطاء الخصم مادته في تبيان ما جاء على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) بأفضلية علي (عليه السلام) فقله (صلى الله عليه وآله): ((اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير ..)) يؤكد ذلك إلزاماً، فذكر (التخليط) الذي أصاب أنساً، فحجب خالصة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وخير قومه، فاعتماد مبدأ التشهير والتوبيخ من شأنه أن يحجم الخصم ويحيطه بهالة سلبية، وكما أسلفنا إن سقطت حجة المعارضة ثبت نقيضها دون أدنى شك أو باستدلال جديد .

وقال أيضاً: [من الكامل] ^(٢)

أَتَسُبُّ صَنُو مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ تَرْجُو بِذَاكَ الْفُوزَ بِالْإِنْجَاحِ؟
هِيَاهُ قَدْ بَعْدَا عَلَيْكَ وَقَرَّبَا مِنْكَ الْعَذَابَ وَقَابَضَ الْأَرْوَاحَ

...

أَغْوَيْتَ أُمِّي وَهِيَ جُدُّ ضَعِيفَةٍ فَجَرْتُ بِقَاعِ الْغِيِّ جَرِيَّ جَمَاحٍ
بِالْشَّتَمِ لِلْعِلْمِ الْإِمَامِ وَمَنْ لَهُ إِرْثُ النَّبِيِّ بِأَوْكَدِ الْإِيضَاحِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ سَخَطَ الَّذِي أَرَسَى الْجِبَالَ بِسَبْسَبِ صَخْصَاحِ
أَبُوي فَاتَّقِيَا إِلَهِهَ وَأَذْعِنَا لِلْحَقِّ تَعْتَصِمَا بِجَبَلِ نَجَاحِ

فقد عبّر الشاعر عن ازدرائه لما صدر من مخاطبه قولاً وفعلاً، معرضاً به فكان الاستفهام أسلوبه الأنجع إثباتاً وتشهيراً، إذ أنه قد وجّه له هذه التساؤلات ليدرك الجمع حجم هذه الأخطاء وفداحتها فمن سبّ (صنو محمد) فقد سبّ محمداً (صلى الله عليه وآله) ومن سبّ محمداً (صلى الله عليه وآله) فقد سبّ الله عزّ وجلّ. ^(٣) فحاول بعد هذا التعاقب الاستفهامي أن يخرج بمخاطبيه من العذاب وقاع الغيّ إلى ما هو فيه فلاحهم ونجاحهم.

(١) الصراط المستقيم ، علي بن يونس العاملي : ١٩٤/١-١٩٥ ، ط١ ، مط الحيدرية، طهران ، ١٣٨٤ .

(٢) ديوان السيد الحميري: ١٥٠ جمّاح : يجمعون أي يسرعون اسراعاً لا يرد وجوههم شيء ، السبب: المفازة الأرض المستوية البعيدة ، صخّصاح : الأرض المستوية الواسعة .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢١/٣ .

ومنها أيضاً: [من الطويل] ^(١)

ألم يسمعوا يوم الغدير مقالة يؤمّر خير الناس عُوداً ومعتصراً؟
يقول: ألا هذا ابن عمي ووارثي وأول من صلي وأول من نصر
وليكم بعدي فوالوا وليه وكونوا لمن عادى عدواً لمن كفر

إذ أبان الشاعر في خطابه أعلاه عن قضية مشهورة لا جدل فيها ولا اختلاف إلا أنه ((قد يطلب المشهور بالقياس الجدلي في مقابل المشاغب)) ^(٢)؛ كونه لا يعترف بشهرتها أو أنه لا يراها مشهورة أصلاً، ومن هنا جاء الاستفهام التشهيري لتأكيد خطأ الخصم في إنكاره يوم الغدير، فإيراد الشاعر المشهورات على سبيل التمهيد لقواعد يستفيد منها لنقض حجة الخصم وتبيان خطئه للملأ، بإعتبار أنها مسألة مفروغ منها، ولا مفر من الاعتراف بها . فهو بهذا الطرح أكد على حقيقة الأفضلية للإمام عليه السلام داعماً رأيه بما اكتسبت حكم البديهيّات (ابن عمي ووارثي وأول من صلي وأول من نصر).

ومنها أيضاً قوله: [من الكامل] ^(٣)

أين الجهاد وأين فضل قرابة والعلم بالشبهات والتفضيل؟
أين التقدم بالصلاة وكلهم للات يعبد جهرة ويحول؟
أين الوصية والقيام بوعدِه وبدينِه إن غرك المحصول؟
أين الجواز بمسجد لا غيره جنباً يمرُّ به فأين تحول؟
هل كان فيهم إن نظرت مناصحاً لأبي الحسين مقاسطٌ وعديل؟

والملاحظ هنا أنها تعاقبيّات استفهامية وصل الشاعر إلى ما كان يروم إليه من إظهار تشهيره بمن هم أدنى من مدوحه درجة وفضلاً، فلو استطاع أحدهم البوح رمزاً بما يمليه عليه عقله بالحقّ والحقيقة لخلص إلى نتيجة واحدة من مجمل تساؤلاته هذه ألا وهي أن (أبا الحسين عليه السلام قد كان ولا يزال بالمستوى الحجاجي الاتجاهي مفروزاً عن غيره بما خصّ به، ففضل القرابة والتقدم بالصلاة والوصية و ((أمرت بسدّ الأبواب إلا باب علي)) ^(٤) خصوصيات انفرادية، ولو قوبلت بالمعارضة لما كان هناك ما يذكر أراءها، ومع سقوط الأخير ثبت الأول في نظر المتلقين بعد أن تسرب الارتباب للخصم والتشهير بحالهم.

(١) ديوان السيد الحميري: ٢٥٤ .

(٢) المنطق: ٥٥٧/٣ .

(٣) ديوان السيد الحميري: ٣٠٨-٣٠٩ .

(٤) العمدة ، ابن بطريق: ١٧٥ .

ومنها أيضاً قوله: [من المتقارب]^(١)

خليلي لا تُرجيا واعلما بأن الهدى غير ما تزعمان

...

أيرجى عليّ إمام الهدى وعثمان؟ ما أعند المرجيان!
ويرجى ابن حرب وأشياؤه وهُوج الخوارج بالنهروان؟
يكون إمامهم في المعاد خبيث الهوى مؤمن الشيصبان
جزى الله عنا بني هاشم بإنعام أحمد أعلى الجنان
فكلهم طيب طاهر كريم الشمائل خلو اللسان

مما لا عجب فيه أن يكون خطاب الحميري هنا لمن وصفهم بـ (خليلي) ثم يعرّج بعد ذلك بإضفاء صفة التشهير بهم بعد أن زلّت أقدامهم في هاوية قد لا يكون منها خلاص، ففي البدء هما خليلاه وبعد ذلك هما الخصم، فإن هذا التحول والانتقال لم يكن إلاّ بعد أن اتخذ الشاعر وسيلة فضح الخصم والبأسه حلّة قبيحة؛ إذ أنّ هذا الاستدلال أكد على سلامة موقف الشاعر ما دام خصمه جاهلاً متعدياً، فجعل من تقنية الاستفهام أسلوبه المرن للوصول إلى حقيقة التقابل بين هذه الأضداد العرفية والعقدية، فمن يصل إلى التيقن بأفضلية علي (عليه السلام) كنتيجة كليّة بلحاظ الاعتبار كما وكيفاً، سيطرح ما دونه دون أدنى شك، وبالاستثمار المعتدّ أجرى عملية استيلاد الفكر والفعل بداعي الاستفهام عنه، فبالفكر (أيرجى عليّ إمام الهدى) وبالفعل (جزى الله عنا بني هاشم)، فحصل الإقناع عند المتلقين بعد كل هذا التوسل والاسترسال والتوضيح وهو المطلوب .

إن غاية ما كان يرمي إليه أسلوب الاستفهام التشهيري أو كما يطلق عليه التشهير بأخطاء الخصم، هو التوضيح والإبانة عن حقيقة المتقابلين، فإن أدرك المتلقي عين الصواب في أحدهما، أجرى الأمر له طارحاً الآخر لما يحيط به من السلبيات، وكما أسلفنا إن من طبيعة الإنسان أن لا يحبّ قبيح الصفات والأفعال، ومن هنا جاء مبدأ التشهير بفاعليته المرجوة.

٢ / الاستفهام الشكي (إثارة الشك):

هي تقنية إشكاليّة تعتمد إلى بتّ روح الشكّ والريبة تجاه ما هو مسلّم به عند المتلقي أو ما هو في درجة الاقتناع الفعلي لديه، أي إنها وسيلة ناجعة تهيبّ الشاعر نتيجة الأجواء التخيلية ((تهيج الشك))^(١)،

(١) ديوان السيد الحميري: ٤٣٥-٤٣٦. الشيصبان : اسم من اسماء الشيطان .

ومن ثم إثارة المتلقي إلى إعادة النظر بحججه ومسلماته، فالاستفهام في هذا المقام يثير في النفس التفكير ويدفعها إلى تدبر الأمور حتى تقتنع بخصوصيات تفكيرها بالحدّ التام، فهي تساؤلات لا تحمل غايات جوابية بقدر ماتعمل في داخلها من التشويش في مسار الرؤية أمام المتلقي وقطعه عن قناعاته السابقة ؛ أي إنها تساؤلات تثير الشك حول الخصم لإرباكه وإزعاجه^(٢)، ومن ثمّ تدعو المتلقي لإعادة بلورة قناعاته وتوجيهها نحو ما يتبنى الشاعر ف ((غالباً ما تتخذ هذه القضايا الجدلية بنية تساؤلية، وليس هذا بغريب في فلسفة يُعتبر التساؤل فيها أهم بكثير من الجواب))^(٣).

ومما قاله الحميري في هذه التقنية: [من السريع]^(٤)

من	ذا	الذي	أحمدُ	من	بينهم	يومَ	غدير	الخُم	ناداهُ؟
أقامه	من	بين	أصحابه	وهم	حواليه	فسماه			
هذا	عليّ	بن	أبي	طالب	مولي	لمن	قد	كنت	مولاه
فوال	من	والاه	يا	ذا	الغلي	وعاد	من	قد	كان
									عاداه

فإنه قد بدأ خطابه الحجاجي هنا بإثارة الشك حول قضيتين يريد الوصول إلى مبدأ الإقناع بهما، الأولى: حاول فيها تحريك الفكر فيمن كان النداء ؟ وإلى من توجه ؟، والثانية أراد فيها إثارة مسألة (غدير خم) وما جاء فيها من التوجيه، فإذا كان المستمع قد علّم بواقعة الغدير، شاكاً بمن جاء الأمر، أنار له السيد الحميري بوساطة آلية الاستفهام طريق تفكيره باعتماد خاصيّة التشويش أولاً، ومن ثمّ البوح بالحقيقة المبتغاة (هذا عليّ بن أبي طالب ... موليّ لمن قد كنت مولاه) فقد أجاز الاستخدام الذاتي في باب الحمل والعروض والذي يقابله الغريب^(٥)، وهو ما يريد إثباته بالكيفية التي صاغ على ضوئها تساؤله الشكي هذا ((فإن الفاعل لا يؤخذ في تعريف المرفوع، ولكن الكلمة التي هي معروضة للفاعل تؤخذ في تعريفه كما تؤخذ في تعريف الفاعل))^(٦). وهذا ما نجده في (ناداه، فسماه) وبالتالي حصل التشويش والإرباك الشكي لدى الخصم في مسلماته التي ابتعدت عن الحقيقة، فيدرك بعد كلّ ما تقدم إنّ ما كان يعتقدّه إنما هو محض سراب، فأوجب

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢١٦ .

(٢) ينظر: نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون: ١٠٨ .

(٣) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٤٢ .

(٤) ديوان السيد الحميري: ٤٣٨ .

(٥) ينظر: المنطق: ٥٣٦/٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٥٣٦/٣ .

عليه التصحيح بعد التصريح إذ أن القوة العاقلة تدرك بتوسط الآلة الاستفهامية خصوصية الجزئي المشار إليه.

وكذلك قوله: [من الكامل] ^(١)

ولقد عجبْتُ لقائلٍ لي مرّةً علامةً فهمٍ من الفُهاءِ:
أهجرتَ قومك طاعناً في دينهم وسلكت غير مسالك الفقهاء؟
هلا مزجت بحبّ آل محمد حبّ الجميع فكنت أهل وفاء
فأجبتُه بجوابٍ غير مبادئٍ للحقّ ملبوس عليه غطائي
أهل الكساء أحبتي فهم اللذو فرض الإله لهم عليّ ولائي

تحول السيد الحميري هنا من موجهة الضرورية الذاتية إلى المطلقة العامة ^(٢)، فهو يتأرجح بين ضرورة ثبوت المحمول لذات الموضوع مادام ذات الموضوع موجوداً، (هجرت قومك، سلكت غير مسالك الفقهاء)، وبين الفعلية الدالة على أن النسبة واقعة فعلاً فخرجت من القوة إلى الفعل ووجدت بعد أن لم تكن، (أهل الكساء أحبتي)، إذ إننا نجد مبدأ الشك الذي زرعه الحميري في المسلّمات الفكرية مبنياً على قول العلامة وكونه من الفقهاء – أي الشاعر وقومه – من جهة، ومن جهة أخرى وضوح الرؤية بعد الريبة والشك في أن المزج بحبهم (عليهم السلام) واقع لا محال، فهم (عليهم السلام) عنوان العطاء والمحبة والتضحية والإخلاص، فإذا تحقق التمسك بهم تحققت المحبة الكلية بالمالزمة المطلقة . فمدار الشك واقع في كون التساؤل صادراً من العلامة الفهم، وكيف أن قومه قد حملوا عنوان الفقاهاة، إلا أن في الأمر تدبراً ومراجعة، وهذا ما أراده الشاعر في طرحه .

وكذلك قوله: [من البسيط] ^(٣)

فأيكم يجتبي قلبي ويؤمن بي إني نبيّ رسولٍ، فانبري عذراً؟
فقال: تبّاً أَدْعُونَا لتلفتنا عن ديننا ثم قام القوم فاشتَمروا ؟
من الذي قال منهم وهو أحدثهم سناً وخيرهم في الذكر إذ سَطَروا
آمنت بالله قد أُعْطِيتْ نافلةٌ لم يُعْطَها أحدٌ جنّاً ولا بشرُ
وأن ما قُلتَه حقٌّ وإنهم إن لم يُجيبوا فقد خانوا وقد خسروا

(١) ديوان السيد الحميري: ٥٢-٥٣ .

(٢) ينظر: المقرر في شرح المنطق : ٢٥٨/٢ .

(٣) ديوان السيد الحميري: ٢٠٤-٢٠٥ .

فَفَارَ قَدَمًا بِهَا وَاللَّهُ أَكْرَمُهُ وَكَانَ سَبَاقَ غَايَاتٍ إِذَا ابْتَدَرُوا

في محاولة من الشاعر نقلت هذه الأبيات ما دار بين الرسول (صلى الله عليه وآله) وعشيرته الأقربين من محاوراة عند بدء الدعوة الإسلامية، فاستخدم سلطة الاستفهام الشكي في سرده لهذه المحاوراة، بدءاً بقول الرسول (صلى الله عليه وآله) (فَأَيُّكُمْ يَجْتَنِبِي قَوْلِي وَيُؤْمِنُ بِي) وما جاء على لسانهم من الإنكار وعدم الاعتراف، بعدها جاء الاستفهام الآخر لتحريك رحي العقول (من الذي قال منهم وهو أحدثهم)، فأثار الشك فيما كانوا يعتقدون ويسلمون به، ولم تكن نسبة الثبوت والاتحاد بين الخبرين فحسب ؛ بل إننا نجد فيهما نسبة الاتصال والتصاحب والتعليق، أي تعليق الثاني على الأول، الأمر الذي جعل من الخصم يُعيد تصنيف موجهاته فيمن كان (أحدثهم سنّاً)، آمن وأُعطِيَ نافلة (لم يعطها أحد جنّ ولا بشر) فكان السباق بالفوز بما ظفر.

وفي موضع آخر يقول الحميري: [من الرمل] ^(١)

أَعْلَمَانِي	أَيُّ	بِرْهَانٍ	جَلِي	فَتَقُولَانِ	بِتَفْضِيلِ	عَلِيٍّ؟
بَعْدَمَا	قَامَ	خُطِيباً	مُعَلِّناً	يَوْمَ	بِاجْتِمَاعِ	الْمَحْفَلِ
أَحْمَدُ	الْخَيْرِ	وَنَادَى	جَاهِراً	بِمَقَالٍ	مِنْهُ	لَمْ يُفْتَعَلْ

طلب الحميري في هذه الأبيات وبأسلوب الاستفهام الشكي، أن يستعلم ماذا يجول بمكنونات خصمه حول ما أعلنه استفهامه، فهو لم يكن ساعياً للإجابة بقدر ما كان هدفه من إثارة الشك والانزعاج حول خصمه شخصاً وفكراً، فعمد إلى البرهان وغاياته التي توجب القبول اليقيني مادة وصورة، وبالمعنى الأخص، ثمّ أن عمدة القياس في مثل هذه الحالة تفرض إعمال العقل بالتدبر والروية؛ لإيجاد ما هو الذي يؤلف العلاقة بين حدي خبره الأكبر والأصغر وصولاً لعلّة يقينية بالنتيجة المطلوبة، فقدّم العلة الفاعلية (قام، نادى) لثبوت الأكبر (أحمد الخير)، للأصغر (تفضيل علي) .

فالحركة الفكرية التي أوجدها الحميري في إعماله التساؤلي لأجل اعتبار المحمول ووجوده لموضوعه .

وكذلك قوله: [من الوافر] ^(٢)

فَسَمَاءُ	الْإِلَهَ	بِمَا	أَتَاهُ	مِنْ	الْإِيثَارِ	بِاسْمِ	الْمُقْلِحِينَا
وَمِنْ	ذَا	كَانَ	لِلْفُقَرَاءِ	كَذَا	إِذَا	نَزَلَ	الشَّتَاءُ بِهِمْ كُنِينَا؟
أَلَيْسَ	الْمَوْثَرُ	الْمَقْدَادُ	لَمَّا	أَتَاهُ	مُقَوِّياً	فِي	الْمَقْوِينَا؟

(١) ديوان السيد الحميري: ٣٢٣-٣٢٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٤١٦ . المقوي : الجائع .

بدينارٍ وما يحوي سواه وما كلُّ الأفاضلِ مؤثرينا
وكان طعامه خبزاً وزيتاً ويؤثر باللحوم الطارقينا

فإن ما يريده ناقض الوضع هنا من حافظ الوضع^(١) ليس فقط الإقرار والتسليم بمقدماته فقط، بل إنه يتدرج بالأسئلة من البعيد عن المقصود إلى القريب منه حسبما يريد أن يتوصل به إلى مقصوده من تسليم الخصم، دون أن يشعره بأنه يسعى لمهاجمته ونقض وضعه، فقدّم الحميري ما جاء بالتنزيل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ناعثاً إياه بخصوص التسمية له من ربّ العزة^(٣)، فهي طريقة فنيّة مقصودة في إيجاد فعل التهيئة والحركة التي تظهر مهارته وحذقه في توجيه الأسئلة وإلزام الخصم بعد إثارة الشك ، التسليم والقبول، إذ أنه استدرج ذهنية المتلقي إلى وضع علامات الاستفهامية حول من هو في اعتقادهم وتصورهم كان (كثاً للفقراء) وكان (المؤثر للمقداد) بما عنده من مال (بدينارٍ وما يحوي سواه)، كل هذا التلاعب والاسترسال الفكري الشكي كان عماد الحميري في هذه الأبيات، فحصل على نقض الحافظ لنفسه بنفسه فأثقت تأدية هذه الطريقة بما تقتضيها من القوانين والأصول الموضوعية فيها، فمن هو المؤمن؟ ومن هو صاحب المقداد؟ ومن هو أبو الفقراء والأيتام؟ كل هذه الأطروحات تقود بالشك الحتمي للخصم فتعمل فيه عمل نار الحديد تصهر وتذيب وتعيد التشكيل والترتيب بما هو الأنفع والأصلح .

وهذا هو سرّ التساؤل التشكيكي عندما يضرب أسس الخصم بالفعل والقوة فيُربك ويُزعج ويُغيّر القناعات بالمسلّمات .

٤ / الاستفهام الاستنكاري أو الإنكاري :

وهو الإبطال الذي يأتي بسياق النفي^(٤) ف((الاستفهام الإنكاري من أبلغ الأساليب ؛ لأن فيه حثاً للمخاطب على التفكير))^(٥)، فهو في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى التفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يُجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي كان توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي ومن ثم الاقتناع بالفكرة المراد لها أن تنساب في عقل المتلقي ووجدانه، فلا يطلب به

(١) ينظر: المقرر في شرح المنطق: ٥٥٠/٣ .

(٢) سورة المؤمنون: ١ .

(٣) جاء في مجمل التفسير أن عبارة (الذين آمنوا) إذا وردت في القرآن يقصد بها عليّ (عليه السلام) ينظر: الدر

المنثور: ٣٠٨/٥ ، فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني : ٤٣٢/٤ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٤٩ ، تفسير الألوسي : ١٨٩/٢٣ .

(٤) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٧٩ ، ط ٣ ، مؤسسة بوستان كتاب ، طهران ، ١٤٣٢ .

(٥) البلاغة العربية: ٨٣ .

معرفة شيء مجهول ؛ بل هو استدلال عبر الاستتكار على عناصر الضعف في حجة الخصم، أو أنها لا تمتلك الانسجام المنطقي، وقد تكون حجته هنا تتعارض مع مسلّمات اعتمدها في موارد أخرى فدخل بالتناقض ودور السائل هنا استنباح هذا التضارب الاستدلالي من لدن الخصم ومنعه من استكمال استدلاله، إذ أن ((المشهورات مبادئ مشتركة بالنسبة إلى السائل والمجيب، والمسلّمات مختصة بالسائل))^(١) فيستلّ السائل من خصمه من حيث يدري ولا يدري هذا الاعتراف أو التسليم بالمقدمات التي تسلتزم نقض وضعه المحافظ عليه .

ومن مصاديق هذا الموضوع في شعر السيد قوله: [من الطويل]^(٢)

ألا أيها اللّاحي عليّاً دع الخنا فما أنت من تأنّيبه بمصوّب
أتلّحى وليّ الله بعد أمنيّه وصاحب حوضٍ شرّبه خير مشرب
وحافاته دُرٌّ ومِسْكٌ تُرابه وقد حاز ماءً من لجينٍ مُدّهَب
متى ما يُردّ مولاهُ يشرب وإن يُردّ عدوّ له يرجع بخزي ويضرب

ذكر في بداية خطابه اسم الإمام علي (عليه السلام) لكي لا يطلب منه معرفة شيء مجهول كما أسلفنا، ومن بعدها جاء بالاستفهام الاستتكري لتأكيد الاستنباح وعدم الانسجام المنطقي ؛ لما نثر عليه من الأوصاف المؤكدة لشخصه الكريم فهو (ولي الله، صاحب الحوض) مسلّمات قدمها الشاعر بين يدي مخاطبه لكي يصل إلى عناصر ضعف الحجة لدى خصمه فإن أقرّ بها قاطعاً بالنفي، حُمل على الاقتناع بالفكرة إقراراً عقلياً ووجدانياً، وهذا ما يرمي إليه الشاعر بحنكته وذكائه . فمن المعلوم عند المتكلّم (السائل) اعتبار محور القضايا اليقينية من جهة والمشهورة من جهة أخرى، ليحصل على الاعتقادات الضرورية ومدى تطابق الآراء عليها ولا تباين فيها وكل ذلك يحصل عند المتلقي (المجيب) في عملية الإقرار بالملزمة نفيّاً كان أم حملاً له على التضارب والتناقض مع سابقاته الأيديولوجية .

ومثلها أيضاً قوله: [من الطويل]^(٣)

وأهوج لاحي في عليّ وعابه بسفك دماءٍ من رجالٍ تهوّدوا
وتلك دماء المارقين وسفكها من الله ميثاق عليه مؤكّد
هم نكثوا إيمانهم بنفاقهم كما أبرقوا من قبل ذاك وأرعدوا

(١) المنطق: ٥٥٢/٣ .

(٢) ديوان السيد الحميري: ١١٩ .

(٣) المصدر نفسه: ١٥٦-١٥٧ .

أُتْلِيَ امرأ مازال مذ هو يافع يُصَلِّي ويُرْضِي رَبَّهُ وَيُوحِّدُ؟
وقد كانت الأوثانُ قبل صلاته يُطاف بها في كلِّ يومٍ وتُعبدُ

فقد أجرى كالسابقة تقديم المسلّمات المشهورة بالنص^(١)، لجلب آلية التفكير عند الخصم وجربها نحو ما هو يريد من الإثبات، فإذا تحقق له ذلك طرح أسلوبه الاستنكاري لضرب البنى التحتيّة الفكرية عنده واصلًا بذلك إلى قاعدة النفي والتي ما أن تتحقق وهو المطلوب، استقبح عمل اللاحي وبأن بونه العقدي، بالتضارب الاستدلالي.

ومنها قوله: [من الوافر]^(٢)

ألم يؤت الهدى والناسُ حيرى فوحّد ربّه الأحد العليّ
وصلّى ثانياً في حال خوفٍ سنينَ تجرّمت^(٣) سبعاً أسياً
له شهد الكتابُ فلا تخروا على آياته صمّاً عمياً
بتطهير أُميط الرّجسُ عنه وسمّي مؤمناً فيه زكياً

والملاحظ أن استدلالات الحميري لا تنطلق من فراغ، بل إنها من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات أو المسلّمات الشائعة، فتوحيد الربّ من المبادئ ذات الشأن في التعريف والإفصاح عن شحنة منطقية صوريّة تصديقيّة تُجبر بالضرورة العقليّة ولما فيها من التلازم والترابط (صلّى ثانياً، له شهد الكتاب، تطهير من الرّجس) الإرساء لحقيقة معينة فهي تعتمد ((ذلك الطرح دعماً حاجياً من جهة وأساليب إفحامية توجيهية من جهة أخرى))^(٤)، فتكسب ذهنية المتلقي أبعاداً تحفيزية للفكر، فإن حُمل على الإقرار بالنفي نتيجة السؤال الاستنكاري وصل إلى الاقتناع بمراد السائل وفكرته في التفضيل والمدح وإقرار مجمل الخصوصيّات بمرونة وانجذاب . فإذا سلّم الخصم بها لزم عنها بالضرورة قولٌ آخرُ وفعلٌ آخرُ يتعارضان مع ما كان يعتقدّه ويسري به نحو استنباطات وسمت بالاستقباح والضعف وعدم الانسجام المنطقي .

وكذلك قوله: [من البسيط]^(٥)

(١) قوله (عليه السلام) : ((أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين)) . ذكره السرخسي في : شرح السير الكبير : ١٧/١ ،

تحقيق :صلاح الدين المنجد ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٣٦ .

(٢) ديوان السيد الحميري: ٤٤٣-٤٤٤ .

(٣) وردت في نسخ الديوان (تحرمت) والصواب ما أثبتناه وتجرمت أي انصرمت وانقضت . وأسياً : من المواساة أو المشاركة والافتداء بالنبي (صلى الله عليه وآله) .

(٤) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٣٧ .

(٥) ديوان السيد الحميري: ٢٣٧-٢٣٨ .

ألم يصل عليّ قبلهم حججاً ووحد الله ربّ الشمس والقمر؟
وهؤلاء ومن في حزب دينهم قومٌ صلاتهم للعود والحجر

انطلاقاً من المقولة الأرسطية: ((إن كل اقتناع إنما يحصل بالقياس أو يُنشأ عن الاستقراء ... فكل الخطباء ينتجون الاعتقاد باستخدام الأمثلة أو الضمائر ولا شيء غيرها كحجج))^(١)، نرى أن السيد الحميري قد عمد في شعره إلى هذه الخاصية وبتكرار، فهي بُنيته في الاستدلال، لكنها قد تختلف بطبيعة الحال وباختلاف المقام، إلا أن سمته هذه جاءت نتيجة لفهمه بالمنطقات المنطقية الاستدلالية أولاً، ومن ثمّ الاعتبار النفسانية والاجتماعية العامة والمحيطية به ثانياً، فهو يؤكد مراراً وتكراراً ما لأمر المؤمنين (عليه السلام) من الأفضلية والشأنية عند الله عزّ وجلّ وعند الرسول محمد (صلى الله عليه وآله). فنجد السؤال الإنكاري هنا جاء بالغرض المعهود كالسابقات التي سعى فيها السيد الحميري لتأكيدده على إعادة بناء فكرة الخصم بما يتواشج مع معطياته ومسلماته، فإن أجاب بالنفي وصل للاستقباح والرفض العقلي، وإن أقرّ بالإيجاب، فلم كان كلّ هذا النأي والبعد عن حجة الله على خلقه وحببيه وحبيب رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)؟!، فهو المصلّي لله الموحد له والقوم صلاتهم للعود والحجر فأسبقته للإيمان مدعاة للسير على هداه ومنهجه فهو الصراط القويم دون شكّ

٥ / الاستفهام للسخرية والتبكي:

ويعبر عنه بالاستفهام التهكمي ((وهو استخدام الكلام للتعبير عن معنى مغائر للمعنى الحرفي للكلمات بقصد السخرية والاستهزاء كالخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد والعذر في موضع اللوم، والمدح في موضع السخرية))^(٢) وقد أوكلت الدريدي هذه الآلية لتعدد الأصوات في الخطاب الحجاجي، فلا بدّ للدارس لهذا الخطاب أن يتقطن لذلك، وأن يحدد تلك الأصوات ؛ ليكتشف ما تخفيه من حجاج^(٣) فالسخرية والتهمك وصنع المواقف التبكيتية يقع ضمن الوظائف الاستفهامية عبر خلق حالة من تساؤله التجاهلي، فهو يسأل عن أشياء يراد منها التنبيه على الجواب المنطقي لها، وتعيين التناقض بين وجود هذه الأشياء السلبية وبين الدعوة للمثالية والتزام العدل .

ومما وجدناه في شعر الحميري قوله: [من الكامل]^(١)

(١) الخطابة: ٣١ .

(٢) أساليب المعاني في القرآن: ٩٧ .

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ١٦٧ .

أَيْنَ التَّطَرُّبُ بِالْوَلَاءِ وَبِالْهَوَىٰ إِلَى الْكَوَاذِبِ مِنْ بُرُوقِ الْخَلْبِ؟
 إِلَى أُمِّيَّةٍ أَمْ إِلَى شَيْعٍ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى الْجَمَلِ الْخَدْبِ الشَّقُوبِ؟
 تَهْوِي مِنْ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فَتَبْهَتُ بَعْدَ الْهُدُوءِ كَلَابَ أَهْلِ الْحَوَابِ
 يَحْدُو الزَّبِيرُ بِهَا وَطَلْحَةُ عَسْكَرًا يَاللِّرَجَالِ لِرَأْيِ أُمِّ مُشْجَبٍ

ما بدأ به خطابه الحجاجي هنا هو المثلان أو ما يسمى بالمتماثلين وهما المشتركان في حقيقة واحدة^(١) بالاسم، وهما المتجانسان إن أخذنا بنظر الاعتبار الجنس وهما المتساويان باعتبار الكم، والمتشابهان بالكيفية والهيئة . وكل ذلك يصدق على بني أُمِّيَّةٍ ومن جاء بحرب الجمل، إذ أن الشاعر يوجه سؤاله التهامي هذا لإثارة السخرية فيما يعتقدده الخصم فيهم، فقسّم بما يجب أن تؤسس عليه القسمة وهو الأساس الواحد^(٢)، الذي اجتمعوا عليه في عدائهم لوصي الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ووزيره ووارثه، واصفاً إيّاهم بـ(الكواذب)، ثم التناص (كلاب أهل الحوَاب) مع المشهورة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد أحدث تكرار صوت الهمزة توازناً إيقاعياً كان له الأثر الأكبر في فك شفرات النص الشعري وإظهار محتواه الدلالي، فزاد من الحسن والجمال وأضفى قيمة تعبيرية إيحائية واحتوائية لعظم ما جاء به التساؤل^(٤) ، فكأنه قال : ((إلى أين تذهبون بأهوائكم وولاتكم ؟ أتذهبون إلى ما لا محصول له ولا ثمرة فيه ولا نفع يعود منه))^(٥) ، فما كان من الحميري إلّا جعله الاعتقاد الذي لا يعود بنفع كالبرق الذي لا يتعقبه مطر^(٦) .

لقد حاول المعنى الاستفهامي التنبيه على فداحة مسار المتلقي ومستوى الخطر الناجم عن هذه الغفلة في البقاء على الاعتقاد الخاطيء فتهمكم وسخر بالقدر الذي يحرك من ذهن المتلقي قبل فوات الأوان .
 ومثلها قوله: [من الوافر]^(٧)

أَعَائِشُ مَا دَعَاكَ إِلَى قِتَالِ آلِ وَصِيٍّ وَمَا عَلَيْهِ تَتَقَمِينَا؟
 أَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيْكَ اللَّهُ أَنْ لَا تَرَى أَبَدًا مِنْ الْمَتَبَرِّجِينَا؟

(١) ديوان السيد الحميري: ٨٥ . الخدب : الضخم ، الشوقب : الطويل ، عسكر : اسم الجمل .

(٢) ينظر: المقرر في شرح المنطق: ٦٧/١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٩/١ .

(٤) ينظر: الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، احمد حساني: ٩٨، ١١٤، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية ، ٢٠٠٦ .

(٥) شرح القصيدة المذهبية ، الشريف المرتضى: ٦٢ ، ضمن رسائل المرتضى ، الجزء الرابع ، تحقيق واعداد : احمد الحسيني ، ط ١ ، مط الخيام ، قم ، ١٤١٠ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٦٢ .

(٧) ديوان السيد الحميري: ٤١٣-٤١٤ .

وَأَنْ تُرْخِيَ الْحَجَابَ وَأَنْ تَقَرِّيَ وَلَا	تتبرجي	لِلنَّازِرِينَ
وَقَالَ لَكَ النَّبِيُّ أَيَا حُمَيْرَا سَيُبْدَى مِنْكَ فَعُلْ	الحاسدينَا	
وَقَالَ سَتُبْحِنُ كِلَابَ قَوْمٍ مِنْ الْأَعْرَابِ	وَالْمَتَعَرِّينَا	
وَقَالَ سَتُرْكِبِينَ عَلَى خَدْبٍ يُسَمَّى عَسْكَرًا	فَتُقَاتِلِينَا	

يرى الباحث أن تقنيّة الاستفهام هذه دخلت كأسلوب استراتيجي في البناء الحجاجي عند الحميري، فهو يستغل مناطق الضعف عند الخصم بسرده للمشهورات والمتواترات، ليقطع المسار الإقناعي عند المتلقي ويشغله بسدّ هذه الثغرات أو الفجوات التي أحدثها في منطقته الحجاجية، فصياغته التبكينية هنا جاءت لتعيد الخصم إلى ترك حالة الإقناع وبالخصوص عند الضرورة الملازمة للتصديق بأيّ الذكر الحكيم ﴿وَقَرَنَ فِي يُؤْتِكُنْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١)، وكذلك ما جاء في الأثر عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ((عن عائشة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لأزواجه: أيتكن التي تتبجها كلاب الحوآب ؟ فلما مرت عائشة ببعض مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب عليها ...))^(٢)

فقد عمد إلى تضخيم الأخطاء وتهويلها كوسيلة حجاجية، سلّط فيها الشاعر الضوء على هذا الخطأ وكبّر صورته وبيّن مدى فداحته، فالتهمك هنا فرض على الخصم موقف الضعف ونبه النفوس عند ضربه لهذا الاقتناع الذي لا ينفع معه فقط التنبيه .
وكذلك قوله: [من السريع]^(٣)

يَا	بَائِعَ	الدِّينِ	بَدَنِيَّاهُ	لَيْسَ	بِهَذَا	أَمَرَ	اللَّهُ
فَارْجِعْ	إِلَى	اللَّهِ	وَأَلْقِ	الْهُوَى	إِنْ	الْهُوَى	فِي النَّارِ
مَنْ	أَيْنَ	أَبْغَضْتَ	عَلَيَّ	الرَّضَى	وَأَحْمَدُ	قَدْ	كَانَ
جَهْدُكَ	أَنْ	تَسْلِبَهُ	الْيَوْمَ	مَا	كَانَ	رَسُولُ	اللَّهِ
						أَعْطَاهُ	

دعا الشاعر في هذه الأبيات إلى المثالية والتزام العدل، فقد خلق مشهداً درامياً ساخراً متسائلاً عن أسباب وجود هذا الظلم والاضطهاد الصادر من هذا (البائع) بحق عليّ (عليه السلام) بغضاً وسلباً لما أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المكانة والمنزلة. فصياغته الحجاجية جاءت بشكل رائع، التجأ فيها إلى

(١) سورة الأحزاب: ٣٣

(٢) كنز العمال: ٣٣٤/١١، والكامل في التاريخ: ٤/ ٣٢٠ .

(٣) ديوان السيد الحميري: ٤٣٧-٤٣٨ .

نسبة الأسباب المدعاة لهذا الكره والحقد إلى غير مسبباتها الفعلية، فمن نظر بعين البصيرة والهدى رأى الحقّ وسار معه، بعد التيقن بأن جهده سيضيع وأن حصاده سيتبدد، فالصيغة التبكيتية تُنبئ بفداحة مسار المتلقي ومستوى الخطر الناجم عن هذه الغفلة ف(ليس بهذا أمر الله)، فالاستهجان الحجاجي هنا أضمر بداخله قياساً مفاده: أن مصير من أبغض علياً (عليه السلام) النار، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((ولما صرت إلى السماء الرابعة لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة، فقال لي: يا محمد، لو اجتمعت أمّتك على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله النار))^(١)، و((حب عليّ بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة))^(٢)، و ((عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب))^(٣) . وكذلك قوله: [من الكامل]^(٤)

أوليس قد فرضت علينا طاعةً لأولي الأمور فهل لها تأويل؟
ما كان خبرنا بذاك محمدٌ خبراً له في المُسنداتِ أصولُ
إن الخليفة بعده هذا الذي فيها عليه من الخطابِ يُحيلُ

يحاول الشاعر في أبياته هذه أن ينزع القناع عن الآخر، عبر استدلاله الحجاجي الذي عبّر فيه وبالسخرية المعتادة، فالخطاب موجه لمن عُرف عنهم بأصحاب العقول، مقدماً استفهامه الذي بلغ به مأربه في سحب ذهنية المتلقي إلى مسلمة ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥)، لا تأويل فيها فهو القائل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٦)، وقد أجمعت الأمة على نزول النص في عليّ (عليه السلام)^(٧)، فما يتعارض مع المسلمات يفضي بالاستقباح وينتهي به المطاف في مقام السخرية والتهكم .

(١) نواذر المعجزات، محمد بن جرير الطبري: ٧٥ ، تحقيق : باسم محمد الأسدي ، ط ١ ، مط دليل ما ، قم ، ١٤٢٧

(٢) الأربعون حديثاً، منتجب الدين بن بابويه: ٤٤ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣/٢ .

(٤) ديوان السيد الحميري: ٣٠٩-٣١٠ .

(٥) سورة النساء: ٥٩ .

(٦) سورة المائدة: ٥٥ .

(٧) ينظر: تفسير فرات الكوفي: ١٢٤، وكذلك في: فقه القرآن، القطب الراوندي: ١/١١٦، تحقيق: سيد أحمد الحسيني ، ط ٢،

ط ٢، مط الولاية ، قم ، ١٤٠٥ قوله: ((لا خلاف بين الأمة أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام)))، وكذلك

في خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن بطريق: ٨١، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، قم ، ١٤٠٦ ذاكراً بالإسناد

أن كل خطاب موجه في القرآن بصيغة ((الذين آمنوا: علي بن ابي طالب))، وكذلك في معاني القرآن احمد بن محمد

النحاس: ٢/ ٣٢٥ ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط ١ ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٩٨٨ .

الخاتمة :

وأخيراً يمكن القول إنّ البنية الداخلية لأسلوب الاستفهام في الاستدلال إقراراً وتشهيراً وتشكيكاً واستنكاراً وتبكيكاً، قد فتحت لشاعرنا الحميري مجالات الثقافة المعرفية الحجاجية في مجابهة تداعيات خصمه ومستكناته الإقناعية، مما جعله لا ينطق بالحكم بصورة صريحة وإنما يهيئ مُحاوره - خصمه - ليتولى تلك المهمة بالإقرار وتغيير القناعات والنطق بما هو في رأي المحاجج واعتقاده.^(١) فإن ((فعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطاً معيّناً من النتائج باعتبار الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار)).^(٢)

Was the question of the most important orbital mechanisms in the philosophy of persuasion, Fadtalaa functions deliberative splash as well as his job grammatical formalism, and it came in the framework of the orbital process to influence the opponent's position and weaken his argument or directed by Mqsidiat and purposes, embraced and employed speaker depending on the receiving contexts.

مصادر البحث ومراجعته :

القرآن الكريم .

١. الأريعون حديثاً، منتجب الدين علي بن بابويه الرازي (ت ٥٨٥ هـ)، ط ١، مط أمير، قم، ١٤٠٨.
٢. أساليب المعاني في القرآن، جعفر باقر الحسيني، ط ٣، مؤسسة بوستان كتاب، طهران، ١٤٣٢.
٣. استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤.
٤. الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، أحمد حساني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب ، ٢٠٠٦.
٥. بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ط ١، مط ضفاف، بيروت، ٢٠١٣.
٦. البلاغة العربية، د. عيسى باطاهر، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨.
٧. تفسير الآلوسي روح المعاني، محمود شكري الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، مط المنيرية، مصر، د.ت.
٨. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، ط ١، وزارة الثقافة ، طهران، ١٤١٠.
٩. الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨.
١٠. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، ط ٢، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٧.
١١. الحجاج في المناظرة، أحمد اتركي، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ط ١، دار الروافد الثقافية، بيروت، ٢٠١٣.
١٢. خصائص الوحي المبين، يحيى ابن بطريق (ت ٦٠٠ هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مط نكين قم، ١٤٠٦.
١٣. الخطابة، أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.
١٤. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مط الإسلامية، طهران، ١٣٧٧.

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٤٢ .

(٢) اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: ١٦ ، ط ١ ، مط العمدة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦.

١٥. دعائم الإسلام، القاضي المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
١٦. ديوان السيد الحميري، إسماعيل الحميري (ت ١٧٣ هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مط شريعت، طهران، ١٤٣٢.
١٧. شرح السير الكبير، محمد بن أحمد السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، حيدر آباد، الهند، ١٣٣٦.
١٨. شرح القصيدة المذهبية، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، ضمن رسائل المرتضى، الجزء الرابع، تحقيق وإعداد: أحمد الحسيني، ط ١، مط الخيام، قم، ١٤١٠.
١٩. الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي (ت ٨٧٧ هـ) تحقيق: محمد الباقر البهبودي، ط ١، مط الحيدرية، طهران، ١٣٨٤.
٢٠. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن بطريق (ت ٦٠٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧.
٢١. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٤٩.
٢٢. فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، ط ٢، مط الولاية، قم، ١٤٠٥.
٢٣. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٤.
٢٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ)، ضبط: بكري حياني، تصحيح: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.
٢٥. اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ط ١، مط العمدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.
٢٦. معاني القرآن الكريم، أحمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٨.
٢٧. المقرر في شرح المنطق، رائد الحيدري، ط ٦، مط ذوي القربى، قم، ١٤٣٣.
٢٨. المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق، ط ١، مط لونغمان، القاهرة، ٢٠٠٠.
٢٩. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، تصحيح: لجنة من أساتذة النجف، مط الحيدرية، النجف، ١٩٥٦.
٣٠. المنطق، محمد رضا المظفر (ت ١٩٦٤ م)، ط ٣، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٦.
٣١. نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون، عزيز لدية، ط ١، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ٢٠١٥.
٣٢. نوار المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: باسم محمد الأسدي، ط ١، مط دليل ما، قم، ١٤٢٧.